

تفسير ابن كثير

وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا

وقوله : (ولقد صرفناه بينهم ليدذكروا) أي : أمطرنا هذه الأرض دون هذه ، وسقنا السحاب فمر على الأرض وتعداها وجاوزها إلى الأرض الأخرى ، [فأمطرتها وكفتها فجعلتها غدقا ، والتي وراءها] لم ينزل فيها قطرة من ماء ، وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة . قال ابن مسعود وابن عباس : ليس عام بأكثر مطرا من عام ، ولكن الله يصرفه كيف يشاء ، ثم قرأ هذه الآية : (ولقد صرفناه بينهم ليدذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا) . أي : ليدذكروا بإحياء الله الأرض الميتة أنه قادر على إحياء الأموات . والعظام الرفات . أو : ليدكر من منع القطر أنما أصابه ذلك بذنب أصابه ، فيقلع عما هو فيه . وقال عمر مولى غفرة : كان جبريل ، عليه السلام ، في موضع الجنائز ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " يا جبريل ، إني أحب أن أعلم أمر السحاب ؟ " قال : فقال جبريل : يا نبي الله ، هذا ملك السحاب فسله . فقال : تأتينا صكاك مختمة : اسق بلاد كذا وكذا ، كذا وكذا قطرة . رواه ابن حاتم ، وهو حديث مرسل . وقوله : (فأبى أكثر الناس إلا

كفوراً) : قال عكرمة : يعني : الذين يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا . وهذا الذي قاله
عكرمة كما صح في الحديث المخرج في صحيح مسلم ، عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال لأصحابه يوماً ، على أثر سماء أصابتهم من الليل : " أتدرون ماذا قال ربكم "
قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : " قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال :
مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب . وأما من قال : مطرنا بنوء كذا
وكذا ، فذاك كافر بي ، مؤمن بالكوكب " .